فلسفة التاريخ لدى بيتريم سوروكين: من الثورة الجنسية إلى انحطاط الغرب*

محمد شهاب الوهيب

مدرس، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

تناقش هذه الدراسة الدور الذي تلعبه الثورة الجنسية في تطور الحضارات الإنسانية أو انهيارها، وذلك وفقاً للتحليل الذي قدمه المفكر الروسي بيتريم سوروكين. بصورة أكثر تحديداً، تحاول هذه الدراسة إبراز الدور المهم الذي تلعبه هذه الثورة من وجهة نظره في إحياء ما أسماه "الثقافة الحسية"، وهي ذاتها التي أسهمت في تراجع الحضارة الأنجلوسكسونية. البحث في حدود المسح لكل الحضارات الإنسانية، مسحاً شاملاً فاحصاً لكل مكوناتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية، تم بعقلية فيلسوف التاريخ، وأراد منه سوروكين أن يخرج بنظرية شاملة تكون بمثابة المفتاح لقراءة التاريخ: إن لم تصحح الحضارة الغربية من مسارها الذي انحرف بسبب الثورة الجنسية فإنها ستواجه تحديات خطيرة تؤدي في النهاية لانهيارها. تحاول هذه الدراسة تفكيك آراء سوروكين المختلفة في هذه القضية التي شغلت كتاباته المتأخرة، بغية جذب الانتباه للجانب الفلسفي من فكره الذي أهمله كثير من الشراح والنقاد.

المقدمة

تناقش هذه الدراسة موضوعاً دقيقاً ومهماً نجده في الكتابات المتأخرة للفيلسوف الاجتماعي الروسي بيتريم سوروكين، ألا وهو توصيفه للتطور التاريخي للحضارات، وتصنيفه للاتجاهات الحضارية المختلفة. تهتم هذه الدراسة – تحديداً وعلى وجه الخصوص – بالدور الذي لعبته نظريته في الثورة الجنسية في خضم هذا التطور؛ فهي محاولة في إبراز الدور المهم الذي تلعبه هذه الثورة من وجهة نظره في إحياء ما أسماه "الثقافة الحسية"، وهي ذاتها التي أسهمت في تراجع الحضارة الأنجلوسكسونية، أو "انحطاط الغرب".

كأي فيلسوف للتاريخ يحاول سوروكين أن يقدم مسحاً شاملاً لمختلف الحضارات الإنسانية فاحصاً لكل مكوناتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية بغية الخروج من هذا المسح بنظرية شاملة تكون بمثابة المفتاح لقراءة التاريخ، والأهم من ذلك، كأي فيلسوف للتاريخ، التنبؤ به. وبسبب تركيز هذه الدراسة على هذا الدور الذي لعبته ما أسماه بالثورة الجنسية – وهو موضوع وعنوان الكتاب الذي أصدره في الولايات المتحدة في فترة تدريسه في جامعة هارفارد – في ازدياد زخم "الثقافة الحسية"، وهو ما سيؤدي لاحقاً – وفقاً لنبوءته – لتراجع الحضارة الغربية، إن لم تصحح مسلكها الحضاري، فسوف تتجنب هذه الدراسة تقديم عرض شامل لنظريته في التطور التاريخي. ولكن، على الرغم من ذلك سنكتفي في بداية هذه الدراسة بالإشارة إلى الملامح والأفكار الفلسفية الرئيسية التي تناولتها نظريته بل افترضتها، وذلك بغية تزويد القارئ بالسياق العام لأفكار هذا الفيلسوف الاجتماعي المبدع.

تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى إبراز جانب مهم كان قد أهمله كثير من الشراح والباحثين في فكر سوروكين، ألا وهو الطابع الفلسفي الذي طرأ على فكره كما يتضح في كتاباته المتأخرة. ما من شك في أن تدريب بيتيريم سوروكين الأكاديمي كان تدريباً يغلب عليه الطابع السوسيولوجي، كما اتضح ذلك من خلال عناوين كتاباته ومحتواها في فترات متقدمة من حياته، بيد أن هذا الاهتمام كان قد تغير – بحسب ما أزعم – في كتاباته المتأخرة؛ حيث ابتدأ بتناول

موضوعات تقع في صميم الفلسفة الاجتماعية وفلسفة التاريخ. القسم الأخير من هذه الدراسة يعالج هذه القضية بالتفصيل.

أولاً - مَن بيتريم سوروكين؟

تعد شخصية عالم الاجتماع والفيلسوف الاجتماعي وفيلسوف التاريخ الروسي الكبير بيتريم سوروكين من أكثر الشخصيات بروزاً وتناقضاً وموهبة في تاريخ العلوم الإنسانية في القرن الماضي. ولكن، وللمفارقة، هذه الشخصية لم تقدر أهميتها حق التقدير. ومع ذلك، تظهر الآن بوضوح كبير في الوقت الراهن، أهمية الدراسة الشاملة والمتأنية لإبداع هذا العالم المفكر الذي طال تأثير مؤلفاته وأبحاثه العديد من الحقول المعرفية كالفلسفة وعلم النفس والتاريخ.

ألف بيتريم سوروكين أربعين كتاباً، نشرت وأعيد نشرها عدة مرات في بلدان أوروبا وآسيا وأمريكا، وله العديد من الأبحاث وأكثر من مائتي مقال، وتُرجمت مؤلفاته إلى أكثر من 48 لغة. والحال أن المترجمين إلى اللغة العربية يبدو أنهم لم يهتموا كثيراً بترجمة أعماله؛ إذ انتهى جهد الباحث في البحث عن هذه الترجمات نهاية سلبية. أما في وطنه، روسيا، فلم يعد نشر كتبه الصادرة عام 1922 حتى الستينيات، كما أنه لم تترجم ولم تنشر على الإطلاق كتبه التي ألفها ونشرها في "المرحلة الأمريكية" في فكره. غير أن اهتمام علماء الاجتماع بروسيا الناهضة وبأحداث 1917 – والعشرينيات من القرن العشرين خاصة – أدى إلى تركيزهم على ما يسمى بـ "المرحلة الروسية" من مؤلفاته.

وتؤكد القيمة الثابتة لأفكار عالم الاجتماع والفيلسوف الاجتماعي سوروكين وتنبؤاته حيوية الدراسة العميقة لإبداعه وآنياتها، وبخاصة في ضوء تلك الأحداث التي تجري الآن في جميع أنحاء العالم. ففي المؤتمر العلمي الدولي المكرس لذكرى مرور 110 أعوام على ولادة هذا العالم (فبراير 1999) صرح المشاركون عن فرضية أن يكون القرن الحادي والعشرون هو "عصر انبعاث سوروكين"؛ لأن "إبداعه ومؤلفاته تجمع بصورة منسجمة بين الأستاذية

الرفيعة والنزعة الإنسانية العميقة، والنظرية المفسرة السديدة، والتقنية الفعالة، والمعايير الأخلاقية السامية والذهنية الجبارة المذهلة".[1]

إن غليان العقول العام الذي ميز الوضع السياسي- الاجتماعي لبدايات القرن العشرين قد شمل المدرسة التي كان يدرس فيها سوروكين، وهو الأمر الذي قد قسّم الطلاب إلى جماعات. ففي عام 1905 انتسب سوروكين إلى منظمة الاشتراكيين الثوريين التي أسست في عامي 1901- 1902 على خلفية الإيديولوجية الشعبوية. وعندما كان طالباً في جامعة بطرسبورغ، مارس سوروكين نشاطاً علمياً واجتماعياً واسعاً. وفي هذه المرحلة نشر أكثر من عشرة أبحاث علمية جادة، دون الحديث عن مداخلاته ومقالاته النقدية وعروضه لمنشورات الدوريات الأجنبية. وفي هذه الفترة كان يتعاون مع مجلات "أخبار علم النفس"، "أخبار المعرفة"، "متطلبات الحياة"، "الوصايا"، "الأفكار الجديدة في علم الاجتماع". وكان أكبر إنجاز له في هذه المرحلة كتابه الكبير الذي وقع في خمسمائة صفحة بعنوان "الجريمة والعقوبة، المأثرة والمكافأة"، وصدر في عام 1914 وحصل على تقويمات إيجابية عديدة من قبل علماء اجتماع كثر[2] في عام 1919 أسس سوروكين كلية علم الاجتماع، وأصبح عميدها والأستاذ الأول فيها، وفي عام 1923 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث باشر عمله أستاذاً في جامعة مينيسوتا، وفي عام 1929 دعته جامعة هارفرد للتدريس فيها.

منذ لحظة وصوله إلى أمريكا اصطدم سوروكين بمقاومة صامتة من جانب الأكاديميين الأمريكان، بيد أن هذا التحامل تجاهه بدأ ينحسر ليس فقط بفضل دعم كبار الأساتذة مثل ش. كولي[3] وف. غيدينغز[4]، ولكن أيضاً بفضل أبحاثه في مرحلة عمله في جامعة مينيسوتا (1923-1929) التي على الرغم من اختلاف تقديرها وتقييمها من جانب الأوساط العلمية الأمريكية، فإنها حددت مستوى علم الاجتماع لعصره وشكلت لسوروكين شهرة شخصية كبيرة في علم الاجتماع الأمريكي لعالم متناقض، ولكن لا يمكن تجاهله بأي شكل من الأشكال.

وبفضل ذيوع شهرة أبحاثه، دعاه رئيس جامعة هارفرد إيبوت لويل[5] في

عام 1930 ليصبح أول رئيس لقسم علم اجتماع افتتح في الجامعة. كان لويل يبحث عن عالم يمكنه أن يقود جامعة هارفرد إلى موقع رائد في علم الاجتماع الذي كان نشيطاً جداً في تلك الأثناء. وكان سوروكين سابقاً قد رفض مثل هذه العروض، لكنه قرر مع ذلك أن يشغل منصب رئيس قسم ويشرع بتنظيم كلية جديدة، محاولاً تجسيد أفكاره الإبداعية والتعليمية، التي كانت لديه منذ أن كان في روسيا. وخلال 12 سنة من عمله كرئيس لقسم علم الاجتماع، خرّجت الكلية العديد من العلماء الذين غدوا معروفين ومشهورين مثل ر. ميرتون[6]، ش. لوميك[7]، ي. شيلز[8]، ج. هومانس[9] وغيرهم. وبفضل أعمال هؤلاء العلماء البارزين وأبحاثهم أصبح القسم - فيما بعد - مركزاً لعلم الاجتماع في أمريكا. وقد بقي سوروكين في رئاسة القسم إلى حين إحالته إلى التقاعد في عام 1959؛ حيث تقاعد وحصل على لقب أستاذ شرف في جامعة هارفرد.

تتميز آراء سوروكين المتأخرة بتغيير جذري في الاتجاه الفكري الخاص به؛ فنجده يهتم بالدرجة الأولى بقضايا الثقافة والفلسفة، التي يخصها بدور محدد في الحياة الاجتماعية للإنسان وسلوكه. وكان محصلة اهتمامه بها تأسيسه المنظومة المتكاملة لسوسيولوجية الثقافة وفلسفة التاريخ. كانت الفترة بين 1930-1950 ذروة إبداعه العلمي. وكتب بحثاً منهجياً بعنوان "المجتمع، الثقافة، الشخصية" (1947). أما الشهرة العالمية فكتبت له بعد نشر كتابه الذي ظهر في أربعة مجلدات "الدينامية الاجتماعية والثقافية"، وهو الكتاب الذي نجد فيه المحاور الأساسية لفلسفته التاريخية (1937-1941)[10]، وهي التي ستهمنا نحن في هذه الدراسة.

ثانياً - تأليف "الثورة الجنسية الأمريكية"

تعد نظرة سوروكين إلى الثورة الجنسية في أمريكا من أهم آرائه وأفكاره الجديرة بالاهتمام. لقد أصدر سوروكين كتاب "الثورة الجنسية في أمريكا" عام 1956 في بوسطن، وقد رسم هذا الكتاب، لسنوات طويلة، تطور الثقافة في أمريكا وفي جميع الحضارات، وذلك من خلال فحص دقيق لموضوع استشراء

وانتشار أسلوب اللذة الحسية في الغرب؛ ذلك أن النقد الذي كان يقدمه سوروكين للمجتمع الأمريكي بإمكانه أن ينسحب بشكل طبيعي على مجتمعات أوروبا الغربية وعلى المجتمعات الأخرى التي تأثرت بهذا الزخم القوي للثقافة الغربية.

في منتصف الثلاثينيات أعلن بيتريم سوروكين، وكان قد غادر إلى الأبد روسيا الشيوعية، عن اتجاه جديد للأبحاث في مختبره الإبداعي، وقامت جامعة هارفرد، حيث كان سوروكين يشغل منصب أول رئيس لقسم علم الاجتماع الذي أسسه، بتخصيص مبلغ عشرة آلاف دولار – وهو مبلغ ضخم للغاية في تلك الفترة – ليصرف خلال أربع سنوات بهدف تنفيذ خطته. وكان سوروكين، طيلة عدة سنوات يجتذب للعمل في الكلية علماء كثيرين وطلابه المتميزين بصفة مؤلفين مشاركين، وأبدع عدداً من أهم المؤلفات، واعتباراً من الخمسينيات، أصبحت قضية الحب النزيه الغيري (بالمعنى الأخلاقي) وطبيعته وأشكال تجليه، وإمكاناته الاتجاه الرئيس لأبحاثه وأعماله ومحاضراته.

تابع سوروكين التأليف والإبداع، كتاباً في إثر كتاب: "الفلسفة الاجتماعية في عصر الأزمة" (1950)، "الحب الغيري" (1950)، "بحوث في مجال الحب الغيري والسلوك" (1950)، "طرق الحب وسلطته" (1954)، "أنواع الحب وقوته" (1954)، "أهواء ونقائص علم الاجتماع والعلوم المجاورة" (1956)، "الثورة الجنسية الأمريكية" (1956)، "السلطة والأخلاق" (1959). أما كتاب بيتريم سوروكين "الثورة الجنسية الأمريكية" – وهو ما يهمنا في هذا السياق – فقد ترجم لاحقاً إلى كثير من لغات العالم، بما فيها اللغة الروسية[11].

نشرت الأفكار الأولى لهذا الكتاب في مقال لسوروكين بعنوان "حجة ضد الحرية الجنسية" نشر في عام 1954، ولقد أثار هذا المقال كثيراً من التأييد والانتقادات، ولكن الأهم من ذلك هو أن العديد من قرائه قد طلبوا من سوروكين نفسه التوسع في شرح أفكاره وعرضها في كتاب. وفي هذا الكتاب (1956) يقدم سوروكين تحليلاً للحركة المتصاعدة لأيديولوجية الثورة الجنسية وغزوها لجميع جوانب الحياة الاجتماعية الأمريكية في منتصف القرن العشرين. كان سوروكين يتابع أيضاً في هذا المؤلف، بعقلانية ومنطق فيلسوف التاريخ، شروط نشوء

الثورات الاجتماعية في مختلف الثقافات عبر تاريخ البشرية، ويحذر بحماسة الراصد المتنبئ، المجتمع الذي "ينساق إلى خطر الوقوع في الهاوية" على حد تعبيره. بيد أن الميزة الأساسية لكتابه هذا هي شرح وتفسير بعض الأساطير حول الثورة الجنسية والنزعة الجنسية ككل ودورها في انهيار أي حضارة.

إن مصطلح "الثورة الجنسية" Sexual Revolution أو "التحرر الجنسي" Sexual Liberation قد لعب دوراً كبيراً في تغيير كثير من المفاهيم التقليدية في الثقافة الغربية منذ خمسينيات القرن العشرين فصاعداً. لقد دفعت كثير من الاتجاهات الفلسفية والنفسية والأنثروبولوجية في ذلك الوقت إلى تكوين حراك اجتماعي قوي كان يهدف في الأساس لتحدي القوالب الاجتماعية والدينية الجامدة والسائدة في المجتمع الغربي آنذاك حول الزواج وطبيعة العلاقات الجنسية ذاتها. لعبت الفلسفات النسوية دوراً مهماً في ذلك؛ حيث تم النظر للتحرر الجنسي كنتيجة ضرورية لتحرر المرأة من القوالب الاجتماعية التي استعبدتها، وهكذا أصبح التحرر الجنسي هو الإشارة التي على المرأة أن ترفعها معلنة تحررها: أن تبادر المرأة بطلب العملية الجنسية، أن تستمتع بها من الناحيتين السيكولوجية والفسيولوجية، ألا تجد حرجاً في تعدد من يطارحونها الفراش... إلخ. كل ذلك بدا وكأنه نتيجة منطقية لهذه الإيديولوجيات النسوية التي سادت في تلك الفترة متحدية سلطة الرجل وتحكمه بمصير المرأة ورؤيتها لذاتها. ولكنها لم تكن الفلسفات النسوية فقط تلك التي مهدت الطريق للثورة الجنسية؛ فقد أسهمت مدرسة التحليل النفسي لفرويد، وبعض الدراسات الأنثروبولوجية، وبعض الاكتشافات الطبية المذهلة في هذا التمهيد أيضاً، كالوسائل الحديثة في منع الحمل.

في توصيفهما لهذا الكتاب، كتبت سوزان فريزر وتوماس ويتبي في عام 1995:

> **في هذا الكتاب العنيد... يتم رسم صورة تنبئية لواقع المجتمع الغربي، والأمريكي على وجه الخصوص. إن لم تتغير بعض الاتجاهات الشخصية والثقافية والاجتماعية للأمريكان، ومحورها الانغماس في الجنس، فإن كارثة وطنية في طريقها**

للوقوع. في الحقب التاريخية الأخيرة شهدنا أموراً كثيرة: صغر حجم العائلة، وكثر الهجر الزوجي والنشوز، ارتفاع حاد في معدلات الطلاق، كل ذلك يشهد على انهيار أخلاقي عام لا يصيب الأسرة فقط بل كل النسيج الاجتماعي بمؤسساته ومنظوماته. تشير المعطيات السوسيولوجية الخاصة بالجنس قبل الزواج وبعده، بالعدد المتزايد للأطفال غير الشرعيين، بالنسب الهائلة من إنتاج موانع الحمل... إلخ. إلى تزايد كبير في نسب المخالطات الجنسية، هي أقرب إلى (الأناركية الجنسية) لها تأثيرها المهم على الفرد، المجتمع والأمة[12].

حتى العلوم وأهمها علم النفس، لم تكن بمنأى عن هذه الثورة الجنسية التي اجتاحت كل شيء؛ كتب سوروكين واصفاً غزو الثورة الجنسية لكل شيء تقريباً:

علم النفس على وجه الخصوص، لم يحصن نفسه ضد هذا الزحف. أهم هؤلاء المذنبين كان سيغموند فرويد وألفريد كينسي؛ إن الشعبية الهائلة التي حظيت بها الفرويدية هي أكبر دليل على النزعة الجنسية التي اكتسحت العلوم النفسية-الاجتماعية. لا يمكن للمرء أن يفكر بنظرية مخزية أكثر من نظرية الفانتازيا الجنسية لدى فرويد، التي ما كان لها لتلقي أي ترحيب من قبل الأكاديميين إن لم تكن علومنا اليوم كعلم النفس والتربية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا قد انتقلت لها عدوى هذه الحمى الجنسية. على الرغم من الطابع غير العلمي لهذه النظريات [نظريات التحليل النفسي]، ناهيك عن تأثيرها المخزي؛ على الرغم من حقيقة جرها لكل القيم الإنسانية العظيمة في الوحل القذر، كالحب والزواج والأبوة... تظل هذه النظريات مقبولة من هؤلاء الذين يسمون علماء ولا تزال تحصل على شعبية أوسع. هذا النجاح الساحق هو علامة هوسنا الجنسي[13].

لا يمكن لنا أن نفهم الدور المهم الذي تلعبه الثورة الجنسية في فلسفة بيتريم سوروكين التاريخية، أو توصيفه لأسباب نهوض الحضارات وانهيارها دون النظر، ولو على عجالة، لهذه الدراسة التوضيحية التي قد قام من خلالها بدراسة تاريخ العالم، فاحصاً فيها عناصر كل ثقافة من فن وعمارة وعلم واقتصاد وفلسفة وأساليب حرب... إلخ. لقد كانت تلك الدراسة الضخمة والشاملة موضوع الكتاب الذي ضمن له موقعاً بين أفضل مفكري العصر الحديث: "الديناميكيات الثقافية والاجتماعية". وبمنهجية معهودة لفلاسفة التاريخ، يقوم سوروكين هنا بدراسة وتحليل الماضي من الأحداث أملاً في الخروج منها بنظرية شاملة بإمكانه أن يستشرف ويتنبأ من خلالها القادم منها.

ثالثاً - المبادئ الرئيسية لفلسفة التاريخ لدى سوروكين

لسنا هنا بصدد التمييز الدقيق بين التاريخ بوصفه علماً وفلسفة التاريخ بسبب طبيعة هذه الدراسة. يكفينا فقط القول إن نظرة فيلسوف التاريخ تختلف عن نظرة المؤرخ في أنها نظرة كلية شاملة لا تتوقف عند حقبة تاريخية ما أو تأثير حدث تاريخي وتداعياته على آخر. إن فيلسوف التاريخ يستقي مادته الأولية من التاريخ ذاته، وفي ذلك فإن عمله مقارب للمؤرخ، إلا أن مقاربة فيلسوف التاريخ تكون شاملة وكلية؛ ذلك أنها تدرس التاريخ الإنساني برمته من خلال إطار عام كبير في محاولة الوصول "للمعنى" أو "القانون" الذي يخفيه هذا السيلان من الأحداث الكثيرة والمتلاحقة، ناهيك عن صعود حضارة وانهيار أخرى. هدف فيلسوف التاريخ هو - على حد تعبير كارل ماركس - العثور على "مفتاح قراءة التاريخ"؛ أي هذا القانون الذي يحكم عملية التقدم التاريخي وفقاً لنظريته. إلا أن سوروكين - كما سنرى - لم يكن يحمل نظرية تحكمها حتمية تاريخية كتلك التي حملها ماركس؛ ذلك أنه يعتقد بأن البشر يتمتعون بحرية أصيلة كفيلة بدورها في نقض أي شكل من أشكال الحتمية.

لقد كانت مقاربة سوروكين لتاريخ الحضارات وتحليل المعنى "المتعالي" الذي تجد كل حضارة شخصيتها فيه أقرب، من وجهة نظرنا، لفلسفة التاريخ

منها للتاريخ كعلم؛ ذلك أن تركيز المقاربة السوروكينية المتأخرة لم ينصب على أحداث تاريخية بعينها يتم تناولها بالتحليل والتفصيل، بل انصب على النظر لتكوين كل حضارة وعلى القوالب الثقافية "المتعالية" أو الكلية التي تنتج كل حضارة نفسها من خلالها وعلى البناء القيمي أو الأخلاقي الذي يصبح متعيناً في الواقع من خلالها. تتكشف هذه القوالب الثقافية – من وجهة نظره – عبر زمن طويل، ويضم هذا القالب الثقافي في داخله عناصر متداخلة ومتشعبة، وعلى الرغم من الاختلافات الواقعة بينها فإن هناك ما يجمع هذه العناصر في وحدة متسقة، يسمي سوروكين هذا القالب الثقافي "**المعنى**"، وفي أحيان أخرى يطلق عليه "**النظام الثقافي الفوقي**" للحضارة. لهذا "المعنى" أو "البنية العليا" للثقافة دور تفسيري، فمن خلاله يتم فهم العناصر المختلفة للثقافة، فهو – في حد ذاته – يشكل الأساس **القيمي** للحضارة الذي يعكس "أسلوبها في الحياة" أو نظرتها للعالم Weltanschauung. يقول رسل نايلي في توضيحه لأفكار سوروكين:

> **إننا نلاحظ أن الحضارات العظيمة السابقة قد أظهرت مستوى متقدماً من الانسجام والاتساق الداخلي الذي قد قدم استقراراً لمدد طويلة، لقرون. إن الفنون، العمارة، الأدب، النحت، الدين، الفلسفة، الاقتصاد، العلم، التعليم، الفلسفة السياسية الخاصة بأي حضارة أو حقبة، تشكل في مجملها وحدة متسقة، بحيث يكون كل عنصر فيه نظاماً مصغراً لنظام أكبر يحتويه**[14].

من خلال دراسته الإحصائية للعديد من الثقافات أو الحضارات، يعتقد سوروكين بأن "الأنظمة الثقافية الفوقية" التي ظهرت في التاريخ كانت قليلة العدد، إن كنا نتحدث عن النماذج النقية، وهي في المجمل على صنفين: فهي إما أنظمة ثقافية فوقية حسية؛ أي ذات طبع حسي Sensate Cultures وإما أنظمة ثقافية فوقية عقلية مثالية Ideational Cultures. وعلى الرغم من وجود بعض النماذج المختلطة، فإنه لا يمكن في الواقع فهم هذه النماذج إلا بالرجوع لهذين النموذجين الأساسيين. قدم سوروكين أفضل توصيف لهذا التمييز الذي أقامه بين نوعين من الثقافات في كتابه "الدينامية الاجتماعية والثقافية" كما أشرنا سابقاً:

نستطيع في البداية التمييز بين نمطين مختلفين من الثقافات المتكاملة العناصر، لكل منها عقليتها، نظامها الخاص في الحقيقة والمعرفة والفلسفة ورؤيتها للعالم Weltanschauung**، نمطها الديني ومعايير القداسة لديها، نظامها الخاص بما هو حق وما هو باطل، أشكالها الفنية وأدبها، قيمها، قوانينها، معاييرها السلوكية، الأشكال الشائعة للعلاقات الاجتماعية فيها، أنظمتها الاقتصادية والسياسية، وأخيراً، نمطها الخاص للشخصية الإنسانية بعقلية وسلوك متفرد... نطلق على أحد هذه الأنظمة: الثقافة المثالية، وعلى الآخر الثقافة الحسية. وكما تشخص هذه التسميات تلك الثقافات بوجه عام، فإنها تشير لطبيعة عناصرها المكونة لها... فالقيم التي ترتبط ببعضها في هذه الثقافات تختلف بطبيعتها بعضها عن بعض، ولكن في داخل كل ثقافة تترابط تلك القيم، تفترض منطقياً بعضها بعضاً، وعادة ما يكون هذا الارتباط وظيفياً... لم يوجد النمط المثالي أو الحسي في شكلهما النقي الخالص أبداً، وكما هو الحال، فإن الثقافات المتكاملة قد تكونت من مجموعات مختلفة من تلك الأشكال المعنوية المنطقية الخالصة. سيغلب النمط الأول في بعض الثقافات وسيغلب النمط الثاني في ثقافات أخرى... وهكذا فبعض الثقافات كانت قريبة من النمط العقلي المثالي، والأخرى من الحسي، وبعضها الآخر كان مركباً من هذين النمطين الخالصين**[15].

أ - المادية والمثالية كمسلمات فلسفية لنظرية سوروكين في التاريخ

إن التسمية التي استخدمها سوروكين لكل من الثقافتين تعيدنا لتراث فلسفي عميق، وهما تحديداً الاتجاه الحسي المادي والاتجاه المثالي العقلاني. هذا التمييز الواقع بين المذهبين الفلسفيين هو تمييز قائم على موقفهما تجاه **الحقيقة.** لا شك في هذا، كما يوضح سوروكين ذلك بنفسه:

الحقيقة بالنسبة للعقل المادي هي ما يمكن إدراكه بحواسنا ولا يمكن أن يرى هذا العقل أي شيء خلاف ما هو محسوس. يكيف من يمتلك هذه العقلية نفسه مع كل الشروط التي تظهر للحواس. . . [أما بالنسبة لأصحاب العقل المثالي] فهم هؤلاء الذين يدركون الظاهرة الحسية نفسها ولكن من منظور مختلف. بالنسبة لهم، ليست هذه الظاهرة الحسية سوى محض ظاهرات، حلم، أو وهم. لا يمكن للحقيقة أن توجد في مثل هذه الأشياء؛ ذلك أنها تعلوها، تختفي خلفها، وتختلف بطبيعتها عن هذه الأقنعة التي تحجبها. لا يمكن لهؤلاء الأشخاص أن يتكيفوا مع ما هو مصطنع، وهم، غير حقيقي. يصارع هؤلاء من أجل التكيف مع ما هو حقيقي، وهو الذي يتجاوز الواقع بطبيعته[16]

هنا قد يعترض البعض قائلاً: إن ما يتحدث عنه سوروكين هو مذاهب فلسفية من وضع وابتكار فلاسفة بعينهم، ما علاقة هذه المذاهب الفلسفية، التقنية، بالقوالب الثقافية التي تنشأ في حضارة ما أو كما يسميها "القوالب الثقافية الفوقية"؟ يبدو وكأن سوروكين قد توقع مثل هذا الانتقاد. يعتقد سوروكين بأن الأفكار التي يحملها أي شخص هي في الواقع انعكاس لسياق اجتماعي أكبر؛ يذكرنا هذا الانعكاس بفلاسفة تاريخ لهم مكانتهم في هذا الحقل المعرفي كهيغل وماركس وغيرهما:

إن عقلية كل شخص هي بمثابة كون أصغر يعكس الكون الأكبر لمحيطه الاجتماعي. فالآراء والنظريات والاعتقادات. . . العلمية والفلسفية والدينية والجمالية والأخلاقية والقانونية - باختصار - كل رؤيتنا للعالم weltanschauung **كما يراها المجتمع المثالي قد شكلت تبعاً للنمط العقلي المثالي، كما أن النظرة الخاصة بهؤلاء الذين يعيشون تحت طغيان الثقافة الحسية قد شكلت بالرجوع لهذا النمط الحسي**[17].

هذا التمييز التقليدي بين المذهبين الحسي والمثالي – كما أقامه سوروكين وقمنا بعرضه هنا – لا يبدو أنه يعرض حقيقة موقفه حيال التاريخ بشكل تام. مقاربة سوروكين لهذا الموضوع بحاجة إلى بعض الشرح: إن الحقيقة المتمثلة أمامي هناك أنطولوجيا لها أوجه عدة أو هي تظهر من خلال مناح وأبعاد مختلفة، و تتعدد أوجه هذه الحقيقة الأنطولوجية بتعدد الناظرين إليها. يشبه رسل نايلي موقف سوروكين هذا بموقف جون ستيورت مل بل وفلسفة فتجنشتاين المتأخرة:

> **يعتقد سوروكين بأن أحادية النظر هي الاستعداد العام للعقل البشري وبأن هذه الأحادية تلعب دوراً مهماً و على مدى قرون عدة في داخل كل حضارة، وذلك حتى ظهور قوة صاعدة، لها من القوة ما يكفيها لتعويض هذا الموقع الذي احتلتهُ القوة الأحادية الجزئية**[18].

المشكلة في الثقافات المادية الحسية أو العقلانية المثالية ليست في اعتقادها بالحقيقة الجزئية بل في أخذها هذه الحقيقة على أنها الحقيقة المثلى والكاملة. يقول سوروكين:

> **إذا ما كانت عقليتنا مسلمة بحقيقة الإيمان فإنها تسبغ الطابع الروحاني على كل شيء، جاعلةً من المادة القائمة أمامنا مجرد مظهر لحقيقة تعلو هذا العالم؛ أما العقلية التي يغلب عليها الطابع الحسي فإنها تسبغ الطابع المادي على كل شيء، حتى الأمور الروحانية ذاتها، حيث ترى الأمور الروحانية مظهراً يعكس الحقيقة أو الواقع الحسي**[19].

ب - نظرية سوروكين في الثورة الجنسية

كان العالم فيلهلم رايخ[20] أول من استخدم مصطلح "الثورة الجنسية" عام 1936. وقد صاغ رايخ بالتفصيل مقولة الثورة الجنسية ضمن إطار التوجه التحليلي النفسي لنظريته الجنسية– الاقتصادية. بيد أنها لم تكن تعني الإباحية

الجنسية، كما تُفسر في كثير من الأحيان، بل توفير الشروط الضرورية التي يمكن فيها التلبية الطبيعية للعضوية الجنسية؛ التي تستبعد التشوهات وحالات الانحراف الجنسية، والتي تشكل جوهر تمظهر الطاقة العضوية المقموعة والمشوهة. كان رايخ يعتقد أن الثورة الجنسية يمكنها أن تخلق المقدمات الضرورية للحرية الحقيقية وتحقيق ثورة إنسانية حقيقية[21].

غير أن بيتريم سوروكين، القلق من النزعات السلبية في حياة أمريكا الأخلاقية، يصف هذه النزعات باعتبارها ثورة جنسية، ذات طابع غير عادي وواقعي في آن واحد:

> **ولكونها لا تشبه أبداً الثورات السياسية والاقتصادية السابقة، فالثورة الجنسية تصعب ملاحظتها. ومشاهدها العاصفة تجري دون مظاهر جماهيرية داوية، فهي تقتصر على الانفراد في السرير ومشاركة بعض الأشخاص. ولأنها لا تتميز بأحداث درامية كبيرة الحجم، فهي تجري من دون حرب أهلية، ومن دون صراع طبقي أو سفك الدماء. وليس للثورة الجنسية جيش ثوري لمقارعة الأعداء. ولا تحاول الإطاحة بالحكومات. وبصرف النظر عن خصائصها غير المألوفة، فالثورة الجنسية مهمة، مثلها مثل أية ثورة أو انقلاب سياسي أو اقتصادي درامي. وهي تغير حياة الناس بصورة أكثر جذرية من أي ثورة أخرى في عصرنا**[22].

قد يبدو أن حقل عمل هذه الثورة محدود للغاية: وهو العلاقات الحميمية بين رجل وامرأة. غير أنها في الحقيقة تغيِّر مضمون أهم مؤسسات المجتمع الأساسية، كالزواج، والولادات والوفيات، وأسس المجتمع الأخلاقية. إن دينامية هذه الأسس، مثلها مثل جميع جوانب تطور المجتمع، تخضع لتذبذبات دورية، ولأزمات وانعطافات مرحلية، تغير وجه المجتمع. لقد أصبحت الثورة الجنسية مظهراً وعاملاً من مظاهر وعوامل أزمة وانحدار المجتمع ما بعد الصناعي، والبناء الاجتماعي - الثقافي العاطفي- وهي الأزمة التي كشف عنها

بيتريم سوروكين في كتاب آخر هو "أزمة عصرنا"[23]. وهي ككل أزمة، تشكل علامة على انتقال المجتمع إلى وضعية جديدة نوعياً.

وتجدر الإشارة إلى شجاعة سوروكين الفيلسوف والمحلل الاجتماعي الذي سار وحيداً ضد التيارات الغالبة آنذاك- ولا تزال غالبة إلى حد كبير حتى الآن - تيارات الفكر العلمي والرأي العام، التي شجعت الحرية الجنسية باعتبارها حقاً لا يتجزأ من حقوق الفرد، ودلالة على ديمقراطية المجتمع. لقد سار ضد هذه التيارات، ونزعم هنا أنه قد حقق نجاحاً كبيراً في نقد مثل هذه الاتجاهات.

تبدو وجهة نظر سوروكين بسيطة حتى الآن: عندما يزداد الانغماس الجنسي لدى أمة ما فإنها تفقد عزيمتها وحيويتها وتصبح أمة واهنة ضعيفة. وتجدر الإشارة إلى تأثر آراء سوروكين في هذا بالأنثروبولوجي الإنجليزي J. D. Unwin في كتابه "الحضارة والجنس" كما أشار Russell Nieli في بحثه المطول عن بيتريم سوروكين[24]. من هذه الوثيقة الأنثروبولوجية المهمة والغنية بالأدلة الواقعية، وبالنظر لدراسته لتاريخ الحضارات المختلفة هو ذاته، يخرج سوروكين بالحكم التالي: "لا وجود لمثال واحد في التاريخ لمجتمع أبقى على مكانته في قمة الهرم الحضاري بعد أن حلت تقاليد جنسية أكثر تفسخاً مكان القديمة المتشددة"[25].

ج - علامات الثورة الجنسية

يخضع بيتريم سوروكين - باعتباره هنا محللاً اجتماعياً، أو فيلسوفاً للتاريخ يمتلك الأدوات اللازمة التي تقربه من دراسة الواقع الذي هو بمثابة المكون الرئيسي لهذه الدراسة الحضارية الشاملة - للدراسة الإحصائية والوقائعية ظاهرة جديدة مبدئياً في الحياة الاجتماعية، وعلاماتها الرئيسة: ازدياد أعداد حوادث الطلاق، انحلال الأسرة؛ انحسار حب الوالدين، ازدياد أعداد الأسر المحرومة من الأطفال؛ الخلاعة المتزايدة، العلاقات الجنسية غير المنتظمة، الميل المتنامي إلى الجنس؛ إضفاء الصفة الجنسية على الثقافة ومجالاتها -

كالأدب والرسم، والموسيقى، والمسرح، والسينما، والتلفزيون والراديو، والمطبوعات الجماهيرية، والإعلانات التجارية. كما شارك بهذه النزعة العلم أيضاً – كما رأينا – علم النفس، علم الاجتماع، الأنثربولوجيا، انتشار الفرويدية والنظريات العلمية المزيفة، المرتكزة إلى ضرورة الحرية الجنسية وفائدتها. وانتشرت المذاهب الأخلاقية الإباحية، الداعية إلى الحصول على الحد الأقصى من المتعة الجنسية بأسرع وجه، دون التفكير بعواقبها. حتى إن الدين أصبح ملوثاً بالنزعة الجنسية، وعاجزاً عن المجابهة النشطة لمظاهر الثورة الجنسية الخطيرة. ويستغل النزعات الجديدة رجال الأعمال، ومشرعو الموضة والأزياء الذين يجمعون الثروات من الإباحية الجنسية. إن جميع جوانب حياة المجتمع الأمريكي وعناصرها مشبعة بالثورة الجنسية: "ولو نظرنا إلى أي مجال من مجالات الثقافة، فكل منها مشبع بالهوس والجنون الجنسي. إن هذه الثورة تهاجمنا بكامل قوتها من الولادة إلى القبر، في جميع جوانب نشاطنا الحيوي، وفي كل خطوة من أعمالنا، غازية مشاعرنا وأفكارنا"[26].

وفي هذا السياق يمكن لنا مقارنة الثورة الجنسية بأي ثورة أخرى كالثورة الاقتصادية أو السياسية أو حتى ثورات الطبقات الاجتماعية: "على الرغم من صفاتها الغريبة، فإن هذه الثورة الجنسية مهمة كأي انتفاضة سياسية أو اقتصادية لها ما لها من آثار دراماتيكية؛ ذلك أنها تغير حياة النساء والرجال بطريقة تتجاوز في راديكاليتها أي ثورة في هذا الزمن"[27]. لقد تمكن بيتريم سوروكين من معرفة لوحة المستقبل بلمسات خاصة؛ لقد تمكن، بدقة متناهية، من تحليل ومعالجة لكميات هائلة من المعلومات في مجال التاريخ، والثقافة، والأدب، والطب النفسي:

> **لقد درسنا نحو 200000 لوحة وتمثال، ولم نجد عملياً أية صور إيروتيكية للجسد في الفترة من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر، ولكن بدءاً من نهاية القرن الثالث عشر حتى يومنا هذا كانت نسبة ظهور هذه الصور الإيروتيكية تزداد باستمرار: من 0,4٪ – في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، إلى 10,8٪ –**

في القرن السادس عشر، وإلى 21,3٪ - في القرن السابع عشر، وإلى 36,4٪ في القرن الثامن عشر، وإلى 25,1٪ في القرن التاسع عشر، ومن ثم إلى 38,1٪ في السنوات العشرين الأولى من القرن العشرين[28].

وبعد أن قام بيتريم سوروكين بوصف كيف يؤدي إضفاء النزعة الجنسية على وعي الناس إلى انهيار الأسرة: ازدياد حالات الطلاق، ازدياد العجز عن الحياة المشتركة، انحدار حب الوالدين، التخلي عن حمل الأطفال وولادتهم وازدياد أعداد الأطفال المشردين، التوصل إلى استنتاجات واسعة. فقد حلل تأثير الثورة الجنسية على الاقتصاد، والثقافة، والسياسة، وعلى أوضاع الدولة والمجتمع.

إن الحياة الجنسية الفوضوية، الخالية من الضوابط تنسف الصحة الجسدية والنفسية، والأخلاق، والقدرات الإبداعية لمتبعيها وممارسيها، كما تؤثر التأثير السلبي ذاته على المجتمع، الذي يشكل الأفراد المنحلون الإباحيون جزءاً كبيراً منه. وكلما زادت أعدادهم، وكلما أصبح سلوكهم أكثر إباحية، كانت عواقب ذلك أشد على المجتمع كله. وإذا ما شكل الفوضويون الجنسيون القسم الأكبر من أفراد المجتمع، فإنهم يدمرون المجتمع نفسه.

وكأن سوروكين يحذرنا - نحن الذين نعيش في القرن الحادي والعشرين - بالقول: عندما تنتشر الحياة الجنسية الفوضوية على غالبية أفراد المجتمع يبدأ ازدياد أعداد الأمراض النفسية، والعواصف والأزمات العاطفية، وشلل الإرادة. وبسبب شلل الإرادة يزداد عجز المجتمع عن مراقبة الدوافع البيولوجية والانفعالية، ومواجهة إغراءات الجسد، والثروة المادية والرفاهية، ولجم الظمأ إلى السلطة، وأداء الواجبات القاسية والإقدام على التضحيات الضرورية، وتحديد مساره التاريخي ومتابعته. وبسبب وحدته المحددة والمراقبة الذاتية، ينحط المجتمع ويتحول إلى جسم سلبي يسبح في الأسفل مع التيار المندفع إلى القاع التاريخي والهاوية. إن شلل الإرادة وعجز المجتمع عن مجابهة الإغراءات يؤديان إلى خرق القوانين، وإضعاف تأثيرها ومفعولها. وعندما تُضعف الطبقة

الحاكمة والمجتمع ككل هيبة القوانين وسلطتها يحدث عادة، وخلال ثلاثة أجيال، انهيار الحضارة والمدنية، كما حدث في المراحل الأخيرة من الحضارات البابلية والفارسية والمقدونية والمغولية والإغريقية والرومانية، وكذلك في أواخر المملكتين القديمة والمتوسطة، والإمبراطورية الجديدة وعصر البطالمة في مصر.

الحضارة هي حضارة المجتمع في نهاية التحليل، ولهذا فإن انهيارها وانحدار المجتمع يقعان في ارتباط مباشر. من المستحيل قيام دولة القانون القوية عندما يكون كثير من أفراده عدميين أنانيين تسيطر عليهم الشهوات. ولا بد من أن تسيطر على مثل هؤلاء الأفراد النزاعات؛ ما يؤدي إلى الخرق الدائم للقواعد الأخلاقية والتشريعية وإلحاق الضرر بالمصالح الحيوية. وينتج عن هذا كله التزعزع التدريجي للنظام التشريعي والأخلاقي القائم والصراع الدائم بين أفراد المجتمع في الركض وراء الحد الأقصى من الثروات المادية والشهوات. في مثل هذا المجتمع تُخترق القوانين الناظمة باستمرار: حيث يجري تجاهل قواعد السلوك التي تفقد قدرتها في نهاية الأمر على توجيه سلوك الإنسان. وبذلك يقترب المجتمع باطراد من حالة الفوضى الأخلاقية؛ حيث يعتبر كل فرد نفسه مشرعاً وقاضياً يحق له تشويه القواعد الأخلاقية والقانونية، كما يحلو له. وبمثل هذه الدعائم والأركان الأخلاقية الضعيفة المهتزة يفقد المجتمع تضامنه الداخلي وفضائله المواطنية، الضرورية لسعادته وسلامته. ومثل هذا المجتمع تخترق أمانه الداخلي باستمرار أعمال الفوضى والتمرد وتنسف أمنه قوة الإجرام الغليظة.

د - نتائج الثورة الجنسية

إن المجتمع الذي لا يحصل في الوقت المناسب على تقويم علمي دقيق لكثير من الظواهر الاجتماعية الراديكالية (بما فيها الثورة الجنسية)، وهي الظواهر التي برزت في الغرب، هو مجتمع في استعداد وجاهزية لاستقبال الأسطورة الجديدة الجذابة، منفتحاً بالكامل على التأثيرات والنزاعات الهدامة. تعاني هذه المجتمعات التي جربت الثورة الجنسية من التالي:

- تردي الوضع الصحي للإنسان وتقلص مدة حياته؛ يثبت بيتريم سوروكين هذا إحصائياً، مقارناً أعمار رجال الدين: من القرن الأول حتى القرن التاسع عشر، 3090 رجل دين قيدوا أنفسهم تجاه الملذات الجسدية، مقابل 332 رجل دين لم يحرموا أنفسهم من أي متعة.
- تزايد الاختلالات النفسية، والعلاقات الجنسية قبل الزواج، وتردي المبادأة الإبداعية عند الإنسان المهووس بالجنس.
- تفكك الأسر، وتردي وضع الأطفال، وازدياد عدد النزاعات الاجتماعية.
- انتشار الفوضى الاجتماعية، وضعف حوافز حياة المجتمع الصحية السليمة. "فالمجتمع المصاب بالهوس الجنسي يتحول من ميدان تاريخ حي إلى متحف الفضلات والبقايا المتحجرة، ومن ثم ينهار ويطويه النسيان" [29].
- تقلص عدد الولادات وتزايد أعداد الوفيات.
- اختلال توازن المجتمع وانسجامه، واختلال العمليات العقلية والمعرفية فيه.

إن الثورة الجنسية التي انتشرت في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية- ليست بالظاهرة الفريدة والاستثنائية في تاريخ الحضارات. فقد لوحظت ظاهرات مماثلة أكثر من مرة في الماضي، في فترات أزمة وانهيار المجتمعات الهرمة التي كانت تمر في المرحلة الأخيرة من حياتها. "إن دورة الحياة المتعاقبة المتكررة عدة مرات، وحلول الأمم الشابة مكان الأمم الهرمة في القيادة الإبداعية لتاريخ الإنسانية يجب أن تشكل تحذيراً بالنسبة لنا:

> **فالعملية القاسية للانتقاء الاجتماعي تطيح بالمجتمعات الهرمة من موقع القيادة في الدراما التاريخية العظيمة وتنحدر بها إلى الأدوار الثانوية والصغيرة، أو تنقلها للحفظ في متاحف البقايا والفضلات المتفحمة. وتنتقل أدوارها الرئيسة عادة إلى المجتمعات الأكثر فتوة وشباباً، والأكثر عطاءً إبداعياً، حيث تقوم أيديها القوية والمشحونة بالطاقة بأخذ مشعل الزعامة منها" [30].**

ثمة أمثلة كثيرة مشابهة في تاريخ الإنسانية. يستشهد بيتريم سوروكين

بمراحل الانهيار في تاريخ الحضارة المصرية، والمجتمع الإغريقي والروماني، وبموجات الفوضى الجنسية في أوروبا في القرون الوسطى، وبالثورة الفرنسية، ويكشف عن الصلات الوثيقة بين الثورات الجنسية والثورات الاجتماعية-السياسية.

بيد أن الثورات الجنسية لا تعد حتمية، وليست قدراً ملزماً لا بد منه: "فإذا ما كبحنا لجام الفوضى الجنسية وأدخلنا قيوداً جديدة، فإن عملية الانهيار يمكن إيقافها، وخلال مائة سنة أو في حدودها، يمكن لهذه العملية أن تنحسر لتبدأ بعدها عملية بعث ثقافي واجتماعي"[31]. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ البشرية. ويورد بيتريم سوروكين كمثال يحتذى، روسيا السوفييتية، حيث تحولت الثورة الجنسية التي قامت فيها في العشرينيات (والتي كانت تبررها نظرية "كأس الماء") إلى قيود أخلاقية وقانونية صارمة؛ ما ترك تأثيراً مناسباً على نزعات المجتمع البناءة.

وهكذا، فالجانب الجنسي من حياة المجتمع، مثله مثل جوانب حياته الأخرى يخضع لتذبذبات دورية - سواء منها الدورات الكبيرة، الطويلة الأمد أو القصيرة. وإذا ما استخدمنا المصطلحات المعاصرة، يمكننا الحديث عن الدورات الحضارية الطويلة الأمد للغاية، التي تقدر بالقرون في هذا المجال، وترتسم على مسارها دورات طويلة الأمد.

بما يتميز به من حماسة وإقناع علمي دامغ، قام بيتريم سوروكين بتحليل النزعات المتزايدة للثورة الجنسية في الولايات المتحدة الأمريكية في أواسط القرن العشرين، وأظهر عواقبها الخطيرة وكشف عن سببها الرئيس، بأنها أزمة البنية الثقافية الاجتماعية الحسية:

> **إن قصر الثقافة الحسية الرائعة، في الوقت الحاضر، الذي شيدته الحضارة الغربية يأخذ في الانهيار، ولم تتأسس بعد منظومة القيم الجديدة المنسجمة. ومن هنا تأتي الأزمات والتوترات، والنزاعات في عصرنا**[32].

وهذه النتيجة صادقة وصحيحة إلى حد كبير حتى بالنسبة إلى وضع الحضارات الغربية في أوائل القرن الحادي والعشرين. فالفوضى الجنسية تنسف صحة الأمة وقدرتها على الحياة، وبخاصة صحتها النفسية، وتحد من القدرة الإبداعية للعلم والفلسفة، وتحد من مبدأ الأخلاق والدين. يقول سوروكين: "في الولايات المتحدة الأمريكية يجري ويستمر انحدار الإبداع. وهذا الانحدار ناتج عن عوامل كثيرة، ومنها الحرية الجنسية التي تمثل حيزاً رئيساً بينها"[33]. بيد أن هذه النزعة ليست عصية على الكبح والتوقف: "لقد انجررنا بعيداً جداً في تيار الحرية الجنسية، ولكن ليس إلى حد العجز عن تغيير اتجاهنا والدخول في مسار الرقابة الذاتية والسلام والإبداع"[34].

وفي الفصل الأخير من كتابه "الثورة الجنسية في أمريكا" يصوغ سوروكين مجموعة من القواعد البسيطة التي أثبتت القرون الطويلة صحتها للتحرك والخروج من الفوضى الجنسية إلى المستوى المعياري الجنسي للحب الكامل باعتباره إحدى القيم الرئيسة في حياة الإنسان: حتميات الحب الكامل في الشباب؛ القواعد الصارمة للاحترام المتبادل والتحقق من العواطف في مرحلة التعلق: عقد الزواج مع التوجه نحو الزواج الدائم، وولادة الأطفال السعداء وتربيتهم. إن تحقيق هذا الانبعاث للقيم الأسرية والجنسية يتطلب تحسين الحياة الثقافية والاجتماعية.

إن الثورة الجنسية تصل إلى الأرض الروسية، مسقط رأس سوروكين، للمرة الثانية في الجزء الأخير من القرن العشرين؛ حيث وصلت للمرة الأولى في أوائل القرن العشرين، قبل الانقلاب الثوري، فتجلت في ازدياد الحرية الجنسية والإباحية. لقد حازت الثورة الجنسية بعد ثورة أكتوبر عام 1917 على اعتراف أيديولوجي تبنته الدولة؛ تمثل في نظرية "كأس الماء"، وحركة "فليسقط الخجل"، وعلى دعم حكومي من الدولة على شكل الحرية المفرطة وسهولة عقد الزواج وإجراء الطلاق، والسماح بعمليات الإجهاض. وكما يشير بيتريم سوروكين، فقد أدى هذا إلى عواقب قاسية: "بعد بضع سنوات أصبحت قطعان الأطفال المشردين تشكل تهديداً حقيقياً للاتحاد السوفييتي؛ فقد أزهقت ملايين

الأرواح، وبخاصة أرواح الفتيات الشابات: وازدادت بشكل حاد، أعداد حالات الطلاق والإجهاض، وكانت النتيجة العامة مرعبة لدرجة أرغمت الحكومة السوفييتية على إعادة النظر في سياستها، فوضعت شروطاً قاسية على الطلاق، ومنعت إجراء عمليات الإجهاض. واختتمت هذه المرحلة. فروسيا السوفييتية اليوم تمتلك أسرة ثابتة ظافرة متعددة المناقب وحياة زوجية أكثر من غالبية البلدان الغربية "[35]. ويقصد سوروكين بذلك مرحلة الخمسينيات.

ولكن جاءت الآن إلى روسيا موجة جديدة من الثورة الجنسية إلى المجتمع. وما ساعد على وصولها هو ضعف المعايير والقيود الأخلاقية، وموجة الثقافة الجماهيرية الساقطة، المقتبسة من شاشات السينما والتلفزيون والإذاعات والحواسيب وكل أصناف وسائل الاتصال الاجتماعي التي استخدمت في الترويج للجنس، ناهيك عن انتشار المؤلفات والأعمال الفنية بالمشاهد والتشويهات الجنسية، وتعزيز الدعاية الجنسية في المدرسة، والزيادة المروعة للدعارة شبه العلنية، والعلاقات الجنسية ما قبل الزواج، والانتشار الواسع للعهر والإدمان على المخدرات، وتخلي الدولة عن رعاية الصحة الجنسية للأمة والضعف الشديد لرعاية الأمومة والطفولة.

وقد شكلت دافعاً قوياً نحو الثورة الجنسية في روسيا، على وجه التحديد، الإصلاحات الليبرالية الجديدة للسوق في التسعينيات التي وسعت من المتاجرة بالجنس، وشكلت ما يشبه "التجارة الجنسية" التي يمارسها رجال الأعمال الذين يستغلون "مواقع الربح" من الثورة الجنسية. ونتيجة لهذا كله انخفض عدد الزواج بالنسبة إلى كل 1000 نسمة من سكان روسيا من 11,1 زواجاً في عام 1975 إلى 8,9 في عام 1990، وإلى 6,8 في عام 2004، في حين تضاعفت أعداد حوادث الطلاق من 3,6 حادثة في عام 1975 و3,8 طلاق لكل 1000 نسمة في عام 1990 إلى 5,9 في عام 2002. لكن هذا العدد انخفض إلى 4,4 في عام 2004. ونقص عدد الولادات من 16,6 لكل 1000 نسمة في عام 1985 و13,4 في عام1900 إلى 8,3 في عام 1999. وازدادت حالات الوفاة من 8,7 في عام 1970 لكل 1000 نسمة إلى 16,4 في عام 2003.

بالمحصلة، دخلت روسيا التي عُرفت سابقاً بوتائر نمو السكان العالية والثابتة نسبياً، في مرحلة انقراض السكان وهرمهم. وبحسب التنبؤ الديموغرافي لهيئة الأمم المتحدة فإن هذا الاتجاه سيبقى ويتزايد حتى أواسط القرن الحادي والعشرين على الأقل. وبالنتيجة، (وبحسب الصيغة المتوسطة لهذا التنبؤ) فإن العدد العام لسكان روسيا سيتقلص من 148 مليوناً في عام 1999 إلى 143,5 مليوناً في بداية 2005 وإلى 111,81,8 مليوناً في عام 2050. وإذا ما تحقق هذا التنبؤ، فإنه سيعني كارثة ديموغرافية بالنسبة إلى روسيا، وهرم وانقراض حضارة عمرها أكثر من ألف عام، وهجرة ممثلي الحضارات الأخرى إلى أراضيها. هذا أمر لا يستهان به في الاقتراب نحو حصول هذه الكارثة الثورة الجنسية الروسية المعاصرة، التي تشبه بمظاهرها وعواقبها الوصف الذي قدمه بيتريم سوروكين للثورة الجنسية الأمريكية في أواسط القرن العشرين.

علينا أن نفهم واقعية هذا التهديد الخطير؛ كي نتوقف عند حافة الهاوية المعروفة ونبتعد عنها. ويبدو أن القيادة الروسية الحالية قد أدركت أخيراُ هذا الخطر المتزايد- وهذا ما تتحدث عنه منظومة التدابير التي اتخذت لتشجيع الولادات، ودعم رعاية الأمومة والطفولة والأسرة. لا شك في أن هذه التدابير سيكون لها مفعولها وتأثيرها، لكن الحوافز الاقتصادية وحدها غير كافية. ولا بد من إحداث انعطاف وتحول في الوعي الاجتماعي العام، وفي الأخلاق السائدة، من أجل وقف مسار الثورة الجنسية والتغلب على عواقبها المميتة. وهذه مسألة تتعلق بالتربية الأسرية، والتعليم في المدرسة ومؤسسات التعليم العالي، كما أنها تتعلق بالمسؤولية الأخلاقية لرجالات الثقافة، ورجال الأعمال والموظفين، وممثلي جميع الأديان الذين يتحملون مسؤولية عن أخلاق المؤمنين ومصائرهم، وتتعلق بالعاملين في التلفزيون والإذاعات ووسائل الإعلام الجماهيري، والشركات التي تغطي الإنترنت بقنواته ومواقعه الإعلامية. إنها مسؤولية عامة ومشتركة ومجال للعمل المكثف من قبل جيلنا المعاصر من أجل الاهتمام بمصير الأجيال المقبلة ورعايتها. ولا شك أن هذا الكتاب للعالم الروسي الكبير بيتريم سوروكين سيكون أهم عون في هذا العمل الضخم الذي يتطلب عشرات السنين من الجهود المكثفة.

رابعاً - سوروكين من علم الاجتماع إلى الفلسفة

تعريف لعلم الاجتماع لا يخلو من الخلل، ولكنه قد يبدو مناسباً في هذا السياق، هو أنه تلك الدراسة الممنهجة لحياة الناس الاجتماعية؛ أي دراسة الناس كما يتشكلون في مجموعات ومجمل تفاعلاتهم بعضهم مع بعض. يقوم عالم الاجتماع وفقاً لهذا التعريف بدراسة الوقائع الاجتماعية من خلال علاقتها بوقائع اجتماعية أخرى في المجتمع؛ وذلك بغية دراسة دورها في "الضبط الاجتماعي". الفلسفة بدورها تدرس المجتمع أيضاً، وهنا نعني تحديداً الفلسفة الاجتماعية بشتى ضروبها كالفلسفة السياسية وفلسفة التاريخ... إلخ. بيد أن مقاربة الفلسفة للمجتمع تختلف عن مقاربة علم الاجتماع؛ يقارب الفلاسفة المجتمع بعلاقة أشبه بما يطلقون عليه علاقة الماهية بالمادة: الفلسفة تحدد المجتمع الجيد بشكل نظري، أما علم الاجتماع فيبحث في الشروط الواقعية لتحقق هذا المجتمع الجيد.

تزعم هذه الدراسة لكتابات سوروكين وجود جانب كان قد أغفل كثيراً من قبل هؤلاء الذين اهتموا بفكره. يتضح لنا مما سبق، وبخاصة كتاباته المتأخرة، أن مقاربته للحياة الاجتماعية قد اختلفت وبصورة راديكالية عن مقاربات علماء الاجتماع؛ ذلك أنه قد تجاوز هذا الانغماس في التحليل الاجتماعي المحدد بالزمان والمكان - على الرغم من براعة تحليله هذا - ليقف وقفة الفيلسوف الجاد الذي يبحث عن ماهية هذا المجتمع الجيد، وتلك المقاربة إن شئنا النظر لتاريخ الفكر نجدها متجلية بصورة واضحة عند مفكرين مثل ماركس وهيغل وأوجست كونت. إنها مقاربة العقلاني للاعقلاني؛ ذلك أن سوروكين يقف إلى جانب الفلاسفة في مقاربته المعيارية للحياة الاجتماعية، وهي التي تقترب من الأفكار أو المثال العقلاني الذي ينشده الفيلسوف. لقد حاول سوروكين بأسلوب فريد ردم هذه الهوة القائمة بين هذين الحقلين المعرفيين، وهو الأمر الذي - كما سنرى - قد أثار حفيظة كل من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتاريخ على حد سواء.

أثارت حفيظة كل علماء الاجتماع التجريبيين وفرة المادة الفلسفية لدى سوروكين واستحضاره للعديد من المصطلحات الفلسفية التي يعتقدون بأنهم قد

تجاوزوها بالفعل؛ لم يستسغ هؤلاء ميله إلى التنبؤ، والتحطيم الجريء للتصورات التقليدية العديدة. وفي التاريخ، كان كثيرون يرون في دراسة مؤلفات سوروكين السوسيولوجية "فلسفة تاريخ"، وتنافساً بين بيتريم سوروكين وصديقه فيلسوف التاريخ الشهير أرنولد توينبي. وبوجه عام "فالفلاسفة والمؤرخون الأكاديميون لم يكن يروقهم إدراج الطرق الإحصائية الكمية في مجال الإبداع الروحي، وقياس الإبداع والأعداد الكثيرة من الجداول والرسوم، ووفرة المادة الرقمية الجافة التي تدمِّر انسيابية النصوص التقليدية. ولم يكن يروق علماء السياسة النقد الذكي والقارص للثقافة الحسية المعاصرة، وسياستها الأنانية، وثورتها الجنسية، والاهتمام بالحالات المرضية والشاذة. كما اُتّهِم سوروكين بـ "التهجم على فكرة التقدم". وبصدور كتابه "الدينامية الاجتماعية والثقافية" تلقى ضيقو التفكير من مختلف المهن والاختصاصات والأعمار، السكارى بأيديولوجية المجتمع الاستهلاكي، ضربة قوية على المؤخرة. وجميعهم لم يرغبوا بأن يشعروا بأنهم نتاج حضارة محتضرة"[36].

أما هؤلاء الذين قاربوا بين أفكار سوروكين وأفكار فيلسوف التاريخ توينبي فكان لهم كثير من المبررات في هذه المقاربة. فسوروكين، مثل توينبي، كان يرفض القول بالحتمية التاريخية؛ إذ كان يعتقد بأنه من الصعب وضع قوانين مطلقة وصارمة في مجال التغير الثقافي؛ وذلك بسبب درجة الحرية التي يتمتع بها البشر. ولكنه على الرغم من ذلك كان يعتقد بأن هذا التغيير التي تقوم به أي ثقافة من غلبة نمط ثقافي على آخر، هو تغيير يمكن التنبؤ به؛ ذلك أننا باستطاعتنا تحديد ماهية هذه الأنماط الثقافية ذاتها، وذلك التغيير بالطبع هو تغيير بطيء يأخذ زمناً طويلاً من أجل حدوثه.

مثل توينبي، اعتقد سوروكين بأن التحديات التاريخية تمثل الفرصة لردود الأفعال التي تتخذها الأقليات في البداية، ومن الممكن لهذه الاستجابات أن تنجح أو لا تنجح. أما في حالة فشل الحضارة في تشكيل استجابة مناسبة، فإنها تكون قد وصلت لمرحلة نهاية عبقريتها وإبداعها، وفي هذه المرحلة تستحيل الحضارة إلى كائن متحجر عاجز عن التقدم.

إن هذه المقاربة السوروكينية الفريدة التي ترسم الحدود للدراسة الاجتماعية، وذلك عن طريق إثبات وجود مثال واقعي على المجتمع أن يتجه نحوه، ومن ثم الدراسة الاجتماعية، وهو المجال الذي وجده من خلال دراسته للتاريخ، قد جعلته في موقع هو الأقرب لفيلسوف التاريخ. لقد انطلق سوروكين من مسلمة تبدو واضحة في كتاباته المتأخرة – ويجب علينا هنا ألا ننسى تكوينه الماركسي في شبابه – مسلمة "متعالية" إن شئنا استخدام ذلك المصطلح ذي الدلالة الفلسفية: لا يمكن للبحث الاجتماعي أن يتحقق دون التسليم بأن الوجود الموضوعي للمجتمع بإمكاننا تشكيله وفقاً لـ "نموذج" ما.

الخاتمة

إن كتاب ب. سوروكين "الثورة الجنسية في أمريكا" لم يصدر في البلدان العربية ولم يترجم إلى العربية. ومما يدعو للأسف أن استقطاع المعارف العلمية لـ "النخبة"، والاستبدال بها الدعاية السياسية قد جلب ثمارها المريرة. ومجتمعنا، الذي لم يحصل في الوقت المناسب على التقويم العلمي الدقيق للعديد من الظواهر الاجتماعية الجذرية، التي حدثت في بلدان الغرب وفي روسيا، استقبل باستعداد الأسطورة الجاذبة الجديدة، وكان منفتحاً بالكامل أمام التأثيرات الهدامة. وقد سبق أن لاحظنا على شاشات التلفزيون والسينما، وقرأنا في الأدبيات الحديثة، وفي الصحف ومواقع الإنترنت سيل المعلومات ذات الاتجاه الجنسي المتضخم. والعجيب المذهل، أن كتاب "الثورة الجنسية الأمريكية" الذي نُشر منذ أكثر من نصف قرن، يقف اليوم أمام أعين كثير من المهتمين بالدراسات الفلسفية والثقافية والاجتماعية بوصفه كتاباً حيوياً وملحّاً للعالم المعاصر. وبعد انقضاء خمسين عاماً، ها هو ذا العالم الكبير الذي كشف عن الأساطير الرئيسة للثورة الجنسية، يشرح لنا ما يحدث الآن في العالم المعاصر.

لقد رفض سوروكين أي نوع من أنواع الحتمية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وعليه، فإن التمييز بين الشرط الضروري والشرط الكافي مهم في هذا السياق: سوروكين يرى أن الحرية الجنسية ليست سبباً كافياً – أي بمفردها –

للانحطاط الحضاري؛ إذ تعمل هذه الحرية جنباً إلى جنب مع عوامل أخرى كثيرة لإحداث مثل هذا الانهيار، ولكنها على الرغم من ذلك تلعب دوراً مركزياً فيه. ومن المعلوم أن التغيرات الحضارية لا تحدث بين ليلة وضحاها بل تأخذ عشرات السنين، إن لم تكن المئات، حتى تبدأ بالكشف عن نفسها، وهذا تحديداً ما حاول سوروكين تحذيرنا منه، وهو من عايش بدايات هذه الفترة التاريخية في أوربا التي اكتسحتها الثورة الجنسية.

يكفينا في هذا الصدد أن نذكر موجة كبيرة من الكتاب والمفكرين الغربيين وهم ممن أكد انحراف الحضارة الغربية عن خط التفوق الحضاري الذي قد سارت عليه منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم؛ وذلك بسبب تلك التغيرات الكبيرة التي طرأت على الأسرة، وبسبب ضغوط مفاهيم قد فرضت نفسها بقوة على الحضارة الغربية كالحرية الجنسية والنزعة النسوية. Guillaume Faye على سبيل المثال في كتابه المهم الذي نشر مؤخراً: Sex and Deviance[37] يذكرنا بمثل هذه التغييرات وغيرها التي أدت لذلك التراجع الأنجلوساكسوني، وفي مقدمة الأسباب التي أدت لها كانت الحرية الجنسية. كتابات كهذه تظهر اليوم في الغرب لتكرر على مسامعنا وجهة نظر سوروكين التي تنبأ بها قبل ما يقارب خمسين عاماً، بل تكرر هذا التنبيه للحضارة الأوروبية بأن الكثير من الأسس والروابط الاجتماعية التي يقوم عليها أي مجتمع قد تقوضت أو هي في طريقها للانهيار إن لم تصحح الحضارة الغربية مسارها، على الرغم من صعوبة ذلك.

إلا أن نظريات سوروكين لم تكن لتمر دون انتقاد. لقد لاقت نظريات سوروكين المختلفة انتقادات كثيرة، كان أهمها تلك التي وجهها له زميله في قسم علم الاجتماع الأستاذ تالكوت بارسونز. للخلاف بين سوروكين وبارسونز تاريخ طويل بدأ منذ الانقلاب الذي شنه مجموعة كبيرة في قسم علم الاجتماع لعزل بيتريم سوروكين وهو من كان يرأس القسم آنذاك، ناهيك عن اتهام سوروكين لبارسونز بالسرقة العلمية. لقد كانت هذه الصراعات – على حد تعبير ويليام بكستون –: "فضيحة للعلوم الاجتماعية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين"[38]، وبغض النظر عن مثل هذه الفضائح التي قد طغى عليها

الجانب الشخصاني والتي يبدو أنها قد غذت مواقفهما الفكرية أحدهما تجاه الآخر إلى حد بعيد، إلا أن التمعن فيما يجمعهما ويفرقهما أمر فيه كثير من الفائدة لمن أراد الوقوف على القيمة العلمية لآراء كليهما.

من أبرز من توقف عند العلاقة بين سوروكين وبارسونز هو الأستاذ بالمر تالبوت، في كتابه Rough Dialectics: Sorokin's Philosophy of Value الذي يعد بحثاً متميزاً بحق ليس فقط بسبب إلقائه بالضوء على تلك الروابط التي جمعت مفكرينا وباعدت بينهم في الوقت نفسه، بل لدراسته لتلك الأطر الفلسفية التي قد وجهت أعمالهم[39]. لقد كان هناك أثر بعيد لفترة شباب سوروكين على مواقفه الفكرية؛ فقد كانت لحياته الريفية ظلاً مهماً في صقل رؤيته للمدينة والحضارة بوجه عام، وهو الأمر الذي حاولنا أن نوضحه في دراستنا هذه عند مناقشتنا لما أسماه "الثقافة الحسية"؛ يؤكد تالبوت هذا الأمر: "لقد حذرتنا فلسفة سوروكين التاريخية من هشاشة المؤسسات الإنسانية... لقد تبنى الباحث الكبير في السن رأياً مطولاً يرينا من خلاله الأقدام الرخوة التي تقدم عليها المدينة المعاصرة"[40]. أما بارسونز فيبدو أنه قد وجد نفسه، وهو ابن المدينة، مدافعاً عنها وعن مؤسساتها، ملقياً عليها بثقة كبرى بكونها إنتاجاً إنسانياً، وفي ذلك كله كان يحمل نظرة متفائلة وتقدمية بالدور العلمي الجديد الملقى على علم الاجتماع: "لقد قدم لنا بارسونز صورة أكثر ازدهاراً وتفاؤلاً للمدنية من تلك التي قدمها سوروكين... إن بارسونز كليبرالي عقلاني وكشخص يخبر هذه الأمور من الداخل، قد وجد في التراتبيات الاجتماعية [التي حملها لنا المجتمع الحديث، وهي التي كان سوروكين يمقتها] ترابطاً مثالياً مبنياً على أسس علمية، ويدار من قبل خبراء لهم مهاراتهم الخدمية الخاصة"[41].

الهوامش والمراجع

* شكر خاص للأستاذ ألكسندر تورخيم على مساعدته القيمة لنا في ترجمة أجزاء من بعض المراجع الروسية التي تناولت حياة بيتريم سوروكين.

(1) زفيروف ف. م.، سوبوليف ف. س: **أوتوغرافات**، بيتريم سوروكين، موسكو، سوتسيس، 1989، العدد 2.

(2) سوروكين ب. ف: "الجريمة والعقاب والمأثرة والمكافأة"، **دراسة سوسيولوجية حول الأشكال الرئيسة للسلوك الاجتماعي والأخلاق**، سانت بطرسبورغ، 1999.

(3) كولي تشارلز هورتون (Cooley,Charles,Horton,1864-1929) عالم نفس اجتماعي، وأستاذ جامعة ميتشيغان.

(4) غيدينغس فرانكلين هنري (Giddings,Franklin,Henry 1855-1931) عالم اجتماع أمريكي وهو أول من استخدم الطرق الإحصائية والمنهية في الدراسات الاجتماعية، وهو مشهور أيضاً بأبحاثه في الاقتصاد والسياسة.

(5) إيبوت لويل (Abbot, Lowell) رئيس جامعة هارفرد خلال الأعوام 1909-1933.

(6) روبرت ك. ميرتون (Robert K. Merton - 1912-2003) عالم اجتماع أمريكي، حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد عام 1937، ثم أصبح أستاذاً فيها، تأثر بأستاذه سوروكين، وهو واضع النظرية البنيوية الوظيفية في علم الاجتماع.

(7) تشارلز برايس لوميس (Loomis) ولد عام 1905 وتوفي عام 1995. عالم اجتماع أمريكي، أستاذ وعميد كلية علم الاجتماع والأنثروبولجيا في جامعة ميتشيغان (منذ عام 1944 حتى عام 1957)، ورئيس تحرير مجلة "Rural Sociology" من 1941 حتى 1948.

(8) إدوارد شلز -(Edward Shils- 1911-1955) عالم اجتماع أمريكي، من القائلين بنظرية الوظيفية البنيوية.

(9) جورج كاسبارهومانس (Homans، 1910–1989) عالم اجتماع أمريكي، صاحب نظرية التبادل الاجتماعي. وتسمح هذه النظرية باستخدام منجزات علم النفس في تفسير السلوك الاجتماعي.

(10) - Sorokin, Pitirim: **Social and Cultural Dynamics**, New Brunswick: Transaction Books, 1985, pp. 24-25.

(11) - Sorokin, Pitirim A: **The American Sex Revolution**, Boston: Porter Sargent, 1956.

(12) - S. Frayser and T. J. Whitby: **Studies in Human Sexuality**, Englewood, Colorado. Libraries Unlimited, 1995, p.32.

(13) - The American Sex Revolution. p.25.

(14) - Neili, Russell: "Critic of the Sensate Culture, Rediscovering the Genius of Pitirim Sorokin"**, First Principles Journal**, the Intercollegiate Studies Institute, Delware, USA: 2008.

(15) - Social and Cultural Dynamics, pp.24-25.

(16) - The American Sexual Revolution, pp.25-26.

(17) - The American Sexual Revolution, p. 60.

(18) - "Critic of the Sensate Culture, Rediscovering the Genius of Pitirim Sorokin", p31

(19) - Sorokin, Pitirim: **Society, Culture and Personality: Their Structure and Dynamics**, New York: Harper and Brothers, 1947

(20) فيلهلم رايخ (Wilhelm Reich, 1897-1957) – عالم نفس نمساوي وأمريكي، أحد مؤسسي مدرسة التحليل النفسي الأوروبية، وهو تلميذ فرويد الوحيد الذي طور إمكانات النقد الاجتماعي الجذري؛ ودعا إلى إلغاء الأخلاق القمعية وطالب بالتربية الجنسية.

(21) - The American Sex Revolution, p.25.

(22) - The American Sex Revolution, p. 20.

(23) - Sorokin, Pitirim: **The Crisis of Our Age, the Social and Cultural Outlook**, Boston: E,P Durittion, 1942.

(24) - "Critic of the Sensate Culture, Rediscovering the Genius of Pitirim Sorokin", p. 24.

(25) - The American Sexual Revolution, pp. 110-111.

(26) - The American Sexual Revolution, p. 30.

(27) - The American Sexual Revolution, p.50.

(28) - The American Sexual Revolution, p. 54.

(29) - The American Sexual Revolution, p. 35.

(30) - The American Sexual Revolution pp. 35-36.

(31) - The American Sexual Revolution, p. 70.

(32) - The American Sexual Revolution, p. 102.

(33) - The American Sexual Revolution, p. 13.

(34) - The American Sexual Revolution, p. 135.

(35) - The American Sexual Revolution, p. 140.

(36) - Johnston, Barry V. **Pitirim Sorokin: An Intellectual Biography**, Lowrence: Kanas University, 1995, p. 360.

(37) - Faye, Guillaume: **Sex and Deviance**, UK: Arctos, 2014.

(38) - Buxton, William. "Snakes and Ladders: Parsons and Sorokin at Harvard," in **Sorokin and Civilization: A Centennial Assessment**, edited by Joseph B. Ford, Michel P. Richard and Palmer C. Talbutt. New Brunswick, N.J.: Transaction, 1996, p. 43.

(39) - Talbutt, Palmer: **Rough dialectics: Sorokin's Philosophy of Value**, Rodopi, 1998, 39.

(40) - Rough dialectics: Sorokin's Philosophy of Value, p. 134.

(41) - Rough dialectics: Sorokin's Philosophy of Value, pp. 135-136.